خصائص المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان

الأستاذة مريم حسين علي محمد السادة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ دولة قطر

Characteristics of the Qur'anic Platform in the moral construction of human

Prof. Maryam Hussain Ali Mohamed Alsada
Ministry of Islamic Affairs\ State of Qatar
m.alsada66@gmail.com

Abstract

This research is a statement of some of the characteristics of the Qur'anic curriculum in building human ethics by mentioning twenty-four unique characteristics of the Holy Quran in terms of moderation and moderation, comprehensiveness and perfection, logic and reasoning, diversity and beauty, and other characteristics and methods unique to it, and support that by some Quran verses. In addition to extract some benefits that revolve around the verses through reference to the books of interpretation. This research contains an introduction, the characteristics of the Qur'anic curriculum in the moral construction of human, the conclusion, and the list of sources and references.

Keywords: Platform, Ethics, Human

المُلخَّص

يتلخَّص هذا البحث في بيان بعض خصائص المنهاج القرآني في بناء أخلاق الإنسان من خلال ذكر أربعة وعشرون خصيصة تفرد بها القرآن الكريم من حيث الوسطية والاعتدال، والشمولية والكمال، والمنطقية والاستدلال، والتنوع والجمال، وغيرها من الخصائص والأساليب التي تفرد بها، ودعم ذلك بالآيات القرآنية الكريمة. بالإضافة إلى استنباط بعض الفوائد والنكت التي تدور حول الآيات من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، والاعتماد في النقل على الأقرب والأوضح لمعنى الآية ومقصدها. والنقل من أصحاب كتب الأخلاق والفنون الأخرى ما يدعم ويوضح بعض الأمور التي تحتاج إلى توضيح. ويحتوي هذا البحث على مقدمة، وخصائص المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: منهاج، أخلاق، إنسان.

المقدمة:

الحمد لله الهادي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، ولا يصرف سيئها إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، الصادق الأمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، الذين تخلقوا بأخلاق القرآن الكريم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالمتدبر لكتاب الله جل في علاه يجد صفوة الفضائل الأخلاقية التي تبني الإنسان وأخلاقه، وتعزز إنسانيته وكرامته؛ حيث يخاطب القرآن الكريم النفس الإنسانية بما يجول في خفاياها خطاباً يصلح حالها ويسعدها، ويكون الخطاب من خلال أساليب متنوعة تجذب المتدبر والمتأمل في الآيات القرآنية؛ حيث يتفنن بأسلوب الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ووصف الجنة وماتحمله من نعيم دائم جزاءً لمستحقيها من أصحاب الأخلاق الحميدة، ويصف النار وما تحمله من عذاب سقيم لمن يستحقها من أصحاب الأخلاق الذميمة، وعبر القصة والمثل، والتقرير والتلقين من خلال أساليب الخطاب المتنوعة، والغوص في عالم الأخلاق الظاهرة والباطنة، والمقابلة والمزاوجة، والدعوة إلى المراقبة، والتنوع والشمول، واللين في النصح والقول. بالإضافة إلى ربط مكارم الأخلاق بالله جل في علاه، وبملائكته وكتبه ورسله عليهم السلام وبكل ما ارتفع في المقام. وكذلك من خلال لفت الأنظار إلى أسلوب الحوار، والتكرار، والتفنن بالاستفهام، وغيرها من الأساليب التي تؤخذ من خلالها بعض الخصائص:

الخصيصة الأولى: تنوع أساليب الأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن سيئها.

تتنوع منهجية القرآن الكريم في الأمر بالأخلاق، فتارة تأتي بأمر صريح وإلزام واضح لقيمة معينة، والنهي عن ما يضادها، وتارة أخرى تأتي بأمر مقارب لتلك القيمة وبيان قيمتها وفضلها وأثرها على الإنسان وأنها من صفات المؤمنين، فمثلاً جاء الأمر الصريح بالتعاون على البر والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان في قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدة: ٢)، وجاءت آية أخرى تبين التعاون من صفات المؤمنين وتؤكد فضله وأثره عليهم، قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة: ٧١)، أي: "بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر[1]".

هذا، ويأتي التوجيه المباشر للقيم الأخلاقية، وذلك من خلال الإشارة إلى الأمر بوجوب التخلق بمكارم الأخلاق والنهي بالابتعاد عن مساوئها بشكل مباشر وصريح لا يحتاج إلى إعمال فكر وتكلف، بل يُدرك بكل سهولة ويسر، ومن الآيات التي تبين ذلك قوله تعالى:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}(الإسراء:23)؛ حيث جاء في هذه الآية الكريمة الربط بين الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى والإحسان إلى الوالدين بوضوح إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله، فالرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هي رابطة الأسرة[2].

الخصيصة الثانية: المزاوجة بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب.

يعتبر أسلوب الترغيب في الأخلاق الحسنة، والترهيب عن ضدها من أهم ما يمتاز به المنهاج القرآني، ويكون ذلك من خلال التأكيد أن الله سبحانه وتعالى يجازي من يتمسك بالأخلاق الحسنة ويثيب كل إنسان بعمله، ويجازي من يجحدها ويتمثل بما يضادها، "وقد تعددت في البيان القرآني صورة الزجر والوعيد والوعد والترغيب، وترمي كلها إلى إشعار الإنسان بمقدار ما تقتضيه خلافة الإنسان عن الله في الأرض من تحقيق مكارم الأخلاق[3]". قال تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}(الأحزاب: ٢٤). وقال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(يونس: ٢٦)، ويتبعها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(يونس: ٢٧)، فالآية الأولى تحمل وعداً للذين أحسنوا بأن لهم الجزاء والثواب الحسن والخلود في الجنة، وفي المقابل يأتي الوعيد في الآية التي تليها للذين أساؤوا بأن لهم العذاب والعقاب لما قدمت أيديهم والخلود في النار، وفي هذا الصدد يقول محمد عبدالله دراز: يربط القرآن الكريم بين الفضيلة والسعادة، وبين الرذيلة والعقوبة، والفصل بين الأبرار والأشرار، تاركاً في ذلك الأثر العميق في نفوس العباد، موجهاً أنظارهم نحو الأخلاق الحميدة ذات الآثار المجيدة[1]. ويقول ابن جزي: "تأمّل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد، قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر، ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبين أحدهما بالآخر[2]".

الخصيصة الثالثة: إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

المتفكر في كتاب العزيز الحكيم يرى الإقناع العقلي من خلال ما يطرحه من قصص وأمثال وما تحمله من عبر وعظات، ويرى الإمتاع العاطفي من خلال ما يقدمه من براهين وحجج وما تحمله من تشويق وترقيق[3]، على سبيل المثال تأتي العبرة والعظة لقيمة معينة في ثنايا قصة من القصص القرآني تؤدي إلى التفكر والتعقل بتلك القيمة، وتؤدي إلى تحريك العاطفة تجاه سلوك تلك القيمة. والقرآن الكريم ضرب الأمثال بشكل مباشر وغير مباشر، وبأساليب متنوعة منها التمثيل الطبيعي نحو قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ

(1) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج**2**، ص**277**.
(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج**4**، ص**2221**، بتصرف.
(3) عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام**، ج**1**، ص**199**.
(1) دراز، **دستور الأخلاق**، ص**221**، بتصرف.
(2) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج**1**، ص**15**.
(3) دراز، **نظرات في الإسلام** (مقدمة البيومي)، ص**20**، بتصرف.

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(البقرة: ٢٦١)، ومنها التمثيل القصصي نحو قوله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}(الأعراف: ١٤٢)، وتشير هذه الآية إلى قيمة الإصلاح من خلال قصة يقصها القرآن الكريم على القارىء، وتأتي آية أخرى تحرك العاطفة من خلال براهين وحجج تؤكد وجوب الإصلاح بين المؤمنين الذين تربطهم الإخوة الإسلامية، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الحجرات:10). وقال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}(الكهف: ٥٤)، تقول بنت الشاطىء في كتابها الذي كرسته لخدمة قضايا الإنسان: "لا يمكن أن تمارس حرية العقيدة بمعزل عن حرية العقل والرأي، فلا يكون للإنسان أن يجادل فيما لا يقتنع به ولا أن يسأل فيما لا يطمئن إليه[1]"، وجاء القرآن الكريم ليقنع العقل، ويمتع العاطفة دون إخلال جانب مقابل جانب آخر، بل جاء بشكل يدمج بين الشيئين ويظهر البلاغة القرآنية التي لا نظير لها.

الخصيصة الرابعة: مخاطبة جميع الناس كل بقدره.

يخاطب المنهاج القرآني جميع الناس مخاطبة الخبير بشؤون حياتهم، فلا يقتصر على مخاطبة الخاصة دون مخاطبة العامة، ولا يقتصر على مخاطبة العامة دون مخاطبة الخاصة. ومن تأمل آيات الكتاب الحكيم يرى التنوع في الخطاب لسلوك قيمة أخلاقية معينة، أو الابتعاد عن ضدها، ولا شك أن في ذلك التنوع والتوسع في الخطاب أهدافاً وأغراضاً أهمها شمولية الخطاب القرآني لجميع أجناس البشر وأصنافهم ليشمل في ذلك جميع جوانب الإنسان المختلفة مخاطب به العقل والعاطفة. ومن أنواع الخطاب القرآني خطاب العامة نحو قوله تعالى: {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}(البقرة: ١٧٢)، ومنها خطاب الخاصة كقوله تعالى: {قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}(الأعراف: ١٤٤)، ومنها الخطاب الموجه لنوع واحد من البشر نحو قوله تعالى: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة: ٤٠).

الخصيصة الخامسة: العناية بالأخلاق الباطنة والظاهرة.

لا يقتصر المنهاج القرآني على بيان أهمية الأخلاق الظاهرة وأثرها، أو بمعنى آخر الأخلاق المحسوسة التي يكون إدراكها من خلال تصرفات الإنسان وما يصدر عنه من أفعال أو أقوال، بل يغوص في عالم الأخلاق الباطنة التي لا يمكن إدراكها إلا في قرارة الشخص ذاته، ويتعمق في الأخلاق الغير محسوسة التي تحرك الأخلاق المادية وتضبطها، " فالتحلي بمحاسن الأخلاق يشتمل على التحلي بما ظهر منها ومابطن[1]"؛ حيث "تهدف الأخلاق الإسلامية إلى أن تملك على المسلم قلبه، فيدفعه إليها إيمانه، ويزيده الالتزام بها إيمانًا، فمصدرها قلبيٌّ، وأصلها صلاح الباطن[2]". فقد يأمر القرآن الكريم الإنسان بأن يضبط أفعاله ويصحح أقواله من خلال ما ظهر من القيم الأخلاقية وما بطن، قال تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ}(الأنعام: ١٢٠)، يقول مقداد يالجن ابتدأ الإسلام من تطهير الباطن ليكون الاستعداد إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة حتى تصل إلى أعلى الدرجات التي تبرهنها الأخلاق الظاهرة[3]. كما قال تعالى في إصلاح نفوس المؤمنين وقلوبهم: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}(الشمس: ٩-١٠)، "فالقرآن يعمد إلى إصلاح البواطن بأضواء التوحيد، فإذا تمت استنارتها صلحت الظواهر واستقامت على الطريق[4]".

(1) بنت الشاطىء، عائشة عبدالرحمن، **القرآن وقضايا الإنسان**، ص**113**.
(1) الأهدل، أحمد بن يوسف، **الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية**، ص**127**.
(2) الخزندار، أبو أسامة محمود محمد، **هذه أخلاقنا عندما نكون مؤمنين حقاً**، ص**19**.
(3) يالجن، مقداد، **دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية**، ص**27**، بتصرف يسير.
(4) علي، سعيد إسماعيل، **القرآن الكريم رؤية تربوية**، ص**402**.

الخصيصة السادسة: مقابلة القيمة الحسنة بالقيمة السيئة.

يقابل المنهاج القرآني القيمة الحسنة بما يضادها من القيم السيئة، ليظهر بعد ذلك الفرق الواضح بينهما، وما يترتب على الإنسان من أثر، على سبيل المثال قابل القرآن الكريم الصبر بالاستعجال: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}(الأحقاف: ٣٥)، وقابل الشكر بالكفر: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}(الإنسان: ٣)، وقابل الإصلاح بالإفساد في قوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}(الأعراف: 56) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد[1]". ومن خلال المقابلة والمقارنة في الأسلوب القرآني تظهر البلاغة القرآنية في أجمل صورها؛ حيث تعطي رونقاً ومتعةً. تلفت الأنظار وتبهر الأبصار، وتدفع الإنسان نحو تلك القيمة التي جاء أسلوب التقابل بينها وبين ما يضادها لتجعل القارئ يُدرك الآثار، دون شك أو إنكار، ولتوضح المعاني والأفكار، وتكشف الأسرار، وتؤكد الأخبار. فحين يتتبع القارئ قيمة معينة تتشكل لديه خلفية حول أهمية تلك القيمة وأثرها عليه وعلى غيره من الأفراد في الدنيا والآخرة، ثم يأتي أسلوب المقارنة بينها وبين ما يضادها لتؤكد الفكرة أو بمعنى آخر لتظهر الفرق الواضح الجلي بين من يتمسك بالقيمة الحسنة وبين من يتمثل بعكسها، حاثاً بذلك على مكارم الأخلاق وأجلها.

الخصيصة السابعة: الدعوة إلى مراقبة الذات وتحكيم الضمير.

المتأمل في آيات الذكر الحكيم يرى التأكيد على دعوة الإنسان بأن يراقب ذاته وتصرفاته ويحكم ضميره في جميع الأحيان؛ حيث تضع الأخلاق القرآنية المسؤولية على عاتق كل فرد؛ فيتحمل مسؤولية أخلاقه التي سيحاسبه عليها الرقيب سبحانه وتعالى العالم بخفايا الذات وما تجول به من أسرار والخبير بظواهرها، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}(النساء: ٥٨)، وفي هذه الآية الكريمة جاء الأمر بأداء الأمانات إلى الناس، والعدل بالحكم والمقياس خاتماً جل جلاله بهذه الآية بأنه يسمع الأقوال، ويبصر الأعمال؛ فهو الرقيب سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(النساء:1)، وهو العالم بما يجهر من الأقوال وما يبطن: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}(طه: ٧)، وليس غيره تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر: ١٩)، يقول النيسابوري في تفسير هذه الآية الكريمة: " إشارة إلى أنه عالم بجميع أفعال الجوارح، وفي قوله وما تخفي الصدور دلالة على أنه عالم بجميع أفعال القلوب[1]"، وهذه الخصيصة تدفع الإنسان إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات؛ حيث تشعر الإنسان بالمراقبة الدائمة من خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى الحي القيوم؛ مما تجعله يضبط أحواله وجميع أفعاله الظاهرة والباطنة، فتحركه نحو الصلاح والفلاح وطريق النجاح. وتجعله يطمئن في حال المحن والشدة؛ فالله سبحانه وتعالى مطلع على حاله، خبير بمآله، يمده بالراحة والطمأنينة، والإصرار والعزيمة، قال تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}(الطور: ٤٨)، فيكفي في ذلك الإنسان بأنه في عين العزيز القدير سبحانه وتعالى.

الخصيصة الثامنة: تنوع المجالات الأخلاقية.

تتنوع مجالات الأخلاق في القرآن الكريم لتشمل الجانب الإنساني وهو الذي يرتبط بعلاقة الإنسان مع خالقه سبحانه وتعالى والتي تمارس من خلالها أركان الإسلام، والجانب الأسري الذي يحدد علاقة الإنسان بمحيط أسرته وأقاربه، والجانب الاجتماعي الذي يربط الإنسان مع الآخرين، والجانب الوطني الذي يحدد الضوابط الدولية بين الحكام والشعوب ويقوي العلاقات الدولية مع بعضها البعض، وسائر جوانب الحياة المختلفة. وجميع الجوانب تنشأ مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تركن إلى كليات مشتركة تؤدي إلى ارتقاء الفرد بذاته، وتحسين معاملاته، وضبط أفكاره ومعتقداته، وتقوية علاقاته مع جميع من حوله، "فالقرآن الكريم هو كتاب

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج**3**، ص**429**.
(1) النيسابوري، **غرائب القرآن**، ج**6**، ص**29**.

الأخلاق الأول، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، وحسن الخُلق من جملة ما يهدي إليه القرآن[2]"، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات: ١١)، تختصر هذه الآية الكريمة العديد من المجالات الأخلاقية في مختلف جوانب الحياة الإنسانية بين المؤمنين، يقول سيد قطب: "وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضه البعض وله آدابه السلوكية في معاملاته. وهو عالم نظيف المشاعر، مكفول الحرمات، مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ فيه أحد بظنه، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحريتهم فيه لأدنى مساس[1]". والقرآن الكريم حين يلقي الضوء على قيمة معينة يروم بذلك أهدافاً منها إصلاح نية الفاعل، أو تصحيح الفعل من خلال تلك القيمة، وبهذا التنوع في مجال الأخلاق لتشمل جميع المجالات يستطيع الإنسان السير في هذه الحياة وفق مشيئة الخالق سبحانه وتعالى، ووفق مشيئة الشخص ذاته لما يحبه ويرضاه.

الخصيصة التاسعة: مراعاة الفروق الفردية في اكتساب الأخلاق.

يراعي القرآن الكريم جميع الناس؛ حيث يوافق فهمهم ويلائم فطرتهم ويناسب قدراتهم، فيأتي بألفاظ وأساليب يدركها العلماء ويعرفها البسطاء. كما يأتي بما يلائم الفطرة التي فطر الناس عليها؛ فلا يأمر بالتزام قيمة أخلاقية إلا بما يستطيع عليه جميع البشر، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}(البقرة: ٢٨٦). ويراعي فروق جميع الأشخاص بغض النظر عن نوعية تلك الفروق سواء كانت فروقاً عقلية: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(البقرة: ٢٦٩) يقول أبو زهرة: "المعطي للحكمة هو الله، ولكنه العليم بكل شيء يضع الأمور في مواضعها، فهو لا يعطيها إلا لمن يخلص قلبه، ويسلم وجهه، وإن كان كل شيء بمشيئته سبحانه، إنه على ما يشاء قدير[2]"، أم فروقاً جنسية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات: ١٣)، فالناس على الرغم من اشتراكهم في المعنى الإنساني إلا أنهم أفراد متمايزون، لكل فرد وجوده الخاص، وعالمه المتفرّد به، وعلى هذا المفهوم للإنسان، قامت أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها[1]، يقول تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}(الزخرف: ٣٢). ومراعاة الفروق الفردية لا شك أنها من أهم ما يضبط أخلاق الإنسان التي راعاها القرآن الكريم فتواصل مع كل شخص حسب قدرته واستعداده ووفق ما يناسبه، مما قد يؤدي إلى توجه الشخص نحو تلك القيمة التي أمر بها خالقه سبحانه وتعالى والتي تلاءم فطرته وطموحاته، وتتناسب مع مخيلته، وترتقي به نحو الأفضل، والابتعاد عن ما يضاد تلك القيمة المجلبة سوء العاقبة.

الخصيصة العاشرة: التكامل والتعادل.

يتجلى في القرآن الكريم طابع التكامل في القيم الأخلاقية، لأن القيمة الأخلاقية الواحدة يجب على كل فرد أن يطبقها على مسار محدد[2]، بالإضافة إلى توضيح إيجابيات تلك القيم، وبيان سلبياتها. كما حقق القرآن الكريم وضعية التعادل في ميزانها الذي كان يميل تارة إلى جانب وتارة أخرى إلى جانب آخر، ثم يدفعها كلها في اتجاه واحد، بحيث صار جديراً بأن ينسب له عن حق مجموع هذه الأخلاق[3]، مستخدماً بذلك جميع الوسائل والأساليب المتنوعة التي تدرب الإنسان على سلوك قيمة معينة، وإنها إن لم تكن تحرك الأبدان وتوجهها بشكل مباشر فإنما توجه النفوس وتحركها تجاه تلك القيمة. كما راعى القرآن الكريم التوازن بين القيم الأخلاقية حتى لا تطغى قيمة على قيمة أخرى ولا يطغى جانب على الجانب الآخر فيحدث التقصير والاختلال لقيمة أو جانب؛ مما قد يؤثر بعد ذلك في مسيرة الحياة الإنسانية، فجاءت العناية الإلهية لتنهض بالإنسان من خلال تحقيق التوازن الدقيق في جميع مجالات الحياة من خلال

(2) الخراز، خالد بن جمعة، **موسوعة الأخلاق**، ص**84**.
(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج**6**، ص**3336**.
(2) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج**2**، ص**1010**.
(1) الخطيب، عبدالكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، ج**6**، ص**1219**، بتصرف يسير.
(2) دراز، **دستور الأخلاق**، ص**38**، بتصرف.
(3) دراز، **دستور الأخلاق**، ص**8-9**، بتصرف يسير.

تزكية الإنسان بالقيم الأخلاقية جميعها؛ حيث يصوغ القرآن الكريم الإنسان المتوازن الصالح الذي يتحلى بمكارم الأخلاق الموزونة التي لا تعارض بين جوانبها، ويكون التركيز عليها جميعاً تاركاً التطبيق على الإنسان كل على حسب قدرته واستطاعته دون إهمال بعضها مقابل البعض الآخر. وقيل: "إن الأخلاق مواهب وحظوظ، وليست بالتربية. وإن التربية ربما عادت على صاحبها بالخذلان، وكانت كالدواء لم يصادف محله فأودى بمتناوله وأورده مورد الهلكة[1]"، وهذا القول لا يصح؛ حيث تتقوى الأخلاق بممارسة الإنسان لها بشكل مستمر، وللتربية الصحيحة المستنبطة من المنهاج القرآني الأثر البالغ في سلوك الفرد وأخلاقه حتى يصبح الخُلق الحسن بعد ذلك سجية وطبع في الإنسان.

الخصيصة الحادية عشرة: تأكيد أهمية الدعاء لاكتساب مكارم الأخلاق.

يشير القرآن الكريم إلى أهمية الدعاء في اكتساب مكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها؛ فقد أرشدنا الخالق سبحانه وتعالى في فاتحة كتابه إلى ذلك في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}(الفاتحة: ٦) وقال تعالى: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة: ٢٥٠). وإنه لمن واجب المسلم التوجه بالدعاء إلى خالقه كما توجه إليه أولو العزم من الرسل؛ حيث يساهم الدعاء في إصلاح النفس من الأخلاق الذميمة قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}(إبراهيم: ٣٥).

كما أمر سبحانه وتعالى بدعائه لاكتساب الأخلاق الحسنة في قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} (الإسراء: ٨٠). والإنسان حين يتمسك بقيمة معينة ويعمل الخير عليه أن يرجوا الله سبحانه وتعالى أن يتقبلها قبولاً حسناً، قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(البقرة: ١٢٧) تبين الآية الكريمة "تلك الدعوات الخاشعات التي كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتضرعان بها إلى خالقهما وهما يقومان بهذا العمل الجليل[2]". وإذا تمثل الإنسان بقيمة سيئة عليه أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويتوب عليه، قال تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(الأعراف: ٢٣)، ودعاء الله جل في علاه ومناجاته في جميع الأحيان ومختلف الأحوال، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}(غافر: ٦٠) يقول ابن عطية في فضل هذه الآية بأنها: " آية تفضل ونعمة ووعد لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– بالإجابة عند الدعاء، وهذا الوعد مقيد بشرط المشيئة لمن شاء تعالى، لا أن الاستجابة عليه حتم لكل داع[1]"، فبالدعاء قد تتفتح أبواب السماء، ولا تنقطع الأرجاء، فيناجي العبد ربه في الخفاء، وفي السراء والضراء، يبتغي حسن الجزاء.

الخصيصة الثانية عشرة: اللين في النصح والإرشاد.

المتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى يرى اللين في النصح والرفق في الإرشاد؛ حيث يشير الخالق جل في علاه إلى القيم الأخلاقية بعطف يستجيش النفوس، ويأسر القلوب، مصرفاً بذلك عباده عن أسلوب الغلظة والشدة التي تؤدي إلى النفور والفرقة، يبين ذلك قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران: ١٥٩) هذه الآية صريحة الدلالة في الدعوة إلى إشاعة الرحمة والمودة بين المسلمين، والتزام مبدأ الشورى بينهم لما يحقق من ذلك من تآلف وتكاتف. وقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(النحل: ١٢٥)، أي: "بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول[2]"؛ فالقول والجدال إنما يكون بالرفق واللين، والدعوة إلى سبيل الله قوامها الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن الذي لا يعقبه سوء.

(1) رشيد رضا، **مجلة المنار**، ج**1**، ص**56**.
(2) الطنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج**1**، ص**31**.
(1) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج**4**، ص**566**.
(2) النسفي، **مدارك التنزيل**، ج**2**، ص**242**.

الخصيصة الثالثة عشرة: ربط الأخلاق الحسنة بالله عز وجل وبالإيمان به.

ربط القرآن الكريم الأخلاق الحسنة بالله تبارك وتعالى مصدر الكمال الأخلاقي، كما ربطها بالإيمان به سبحانه وتعالى برباط وثيق، فمثلاً ربط الكرم بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}(الرحمن: ٧٨)، وربط الرحمة بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}(يوسف: ٩٢) من آثار رحمته " يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول[1]". كما ترتبط الأخلاق بالإيمان بالله عز وجل ارتباطاً وثيقاً؛ مما قد يدفع العبد إلى ممارسة الأخلاق الحسنة تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، وطمعاً في اكتساب الثواب وحسن المآب، وأن يبتعد عن الأخلاق السيئة التي تؤدي به إلى سوء العقاب، وأشد العذاب. وهناك الكثير من الآيات التي تربط الإيمان بالأخلاق الفاضلة، وتبين أنها من صفات المؤمنين التحلي بها، والعمل عليها في جميع شؤون حياتهم؛ حيث يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الحجرات: ١٠)، كما يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحجرات: ١٥)، وتحقيق الأخلاق الفاضلة المطلقة تحقيقاً فعلياً مستمرًا، يكون نتيجة الإيمان بالله وباليوم الآخر[2]؛ حيث الأخلاق: "من شعب الإيمان، فلا يختل خلق إلا وتضيع من الإيمان شعبة[3]" فالإيمان والأخلاق كل منهما يقوي الآخر ويهذبه، وكلما صحت عقيدة الإيمان للإنسان وترقت صلحت أخلاقه وسمت. والقرآن الكريم يؤكد على أهمية الإيمان وجعله أساس وجود الإنسان، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}(المؤمنون: ١١٥)، قال المراغي في تفسير هذه الآية: "أي أظننتم إنما خلقناكم لعباً وباطلاً؟ كلا، بل خلقناكم لنهذبكم ونعلمكم، لترتقوا إلى عالم أرقى مما أنتم فيه[4]"، وبالعقيدة الصحيحة يتحقق الإيمان وتنبثق الأخلاق الحميدة لأن جوهر الأخلاق إنما أساسه العقيدة، وبالإيمان تسمو الأخلاق ويتحقق للنفس الاتساق، يقول الغزالي: "الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً، وانهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه[5]".

الخصيصة الرابعة عشرة: ربط القيم بالملائكة والكتب والأنبياء عليهم السلام.

ربط القرآن الكريم الأخلاق الحسنة بملائكة الرحمان، وبكتب المنان، وبالأنبياء عليهم السلام، قال تعالى في وصف الملائكة عليهم السلام بالكرم: {كِرَامًا كَاتِبِينَ}(الانفطار: ١١)، وهم الذين لا يعصون أمر الله سبحانه وتعالى ويفعلون ما يُؤْمَرون، وهم "الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره، فيكتبون ما عليه وله[1]". وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(التحريم: ٦)، ويسبحون بحمد الله سبحانه وتعالى ويستغفرونه، قال تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}(الزمر: ٧٥). وقال تعالى في وصف كتبه: {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ}(عبس: 13)، وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}(الواقعة: ٧٧). وقال تعالى في وصف أنبيائه عليهم السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}(التوبة: ١١٤)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ}(الدخان: ١٧)، وقال تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء: ٣)، وغيرها من الآيات التي تؤكد أن مكارم الأخلاق وأتمها شأن الأنبياء عليهم السلام.

الخصيصة الخامسة عشرة: ربط مكارم الأخلاق بالمقامات الشريفة والرفيعة.

اشتملت الآيات القرآنية بما يربط الأخلاق الحسنة بالمقامات الشريفة والرتب العالية، على سبيل المثال لا الحصر أضاف المنهاج صفة الكرم إلى المقام العالي، والرزق الغالي، والأجر المنالي، قال تعالى: {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}(الأنفال: ٤)، وقال تعالى: {وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (يس:11). وقال تعالى في وصف نعيم الجنة: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}(الرحمن:70)، وقال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ

(1) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج**4**، ص**305**.
(2) النحلاوي، عبدالرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ص**83**، بتصرف يسير.
(3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج**1**، ص**134**.
(4) المراغي، **تفسير المراغي**، ج**18**، ص**62**.
(5) الغزالي، **خلق المسلم**، ص**13**.
(1) السمعاني، **تفسير القرآن**، ج**6**، ص**175**.

حِسَانٍ}(الرحمن:76). كما قال سبحانه وتعالى للذين أحسنوا وعملوا الصالحات أنه عز وجل سيجازيهم بالثواب الحسن، قال تعالى: {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}(آل عمران: 195).

الخصيصة السادسة عشرة: برهنة التوبة بالقيم الأخلاقية.

وذلك من خلال تأكيد القرآن الكريم على القيم الأخلاقية باعتبارها دليلاً على صدق توبة العبد؛ حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه الغفور الرحيم الذي يغفر لمن يتوب من عباده ويتبع توبته بالأعمال المجيدة والقيم الحميدة، فتتبدل السيئات إلى حسنات بإذنه سبحانه وتعالى، قال تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(المائدة: ٣٩)، قال الرازي: "المراد من قوله تعالى(وأصلح): أي يتوب بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الأغراض[1]"، ويتبع ذلك الأعمال الصالحة؛ فالإنسان عندما يسعى لإزالة مشاعر الإثم وتأنيب الضمير، ويعزم على عدم تكرار الفعل المذنب، ويصحح تفكيره، إنما يجب عليه بيان ذلك من خلال أفعاله التي تصدر منه من جديد، ويذهب إلى خالقه عز وجل العالم بخفايا النفوس وظواهر الأفعال فيعترف بذنبه أمامه سبحانه وتعالى دون أدنى حرج، فهو الغفور الذي وسعت رحمته كل شيء. ويحدد القرآن الكريم أساليب تلك البرهنة وقبول توبة العبد من خلال عدة أمور تمكن العبد من الوصول إلى تطهير النفس واستحقاق المغفرة بإذن الله سبحانه وتعالى ابتداءً بإصلاح السريرة ثم إصلاح الأفعال العملية من خلال الالتزام بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}(الفرقان: ٧٠ – ٧١).

الخصيصة السابعة عشرة: الواقعية والمنطقية.

تمتاز خصائص القيم الأخلاقية القرآنية بواقعيتها؛ حيث تراعي واقع الحياة الإنسانية، وتتناسب مع مخيلة الإنسان فلا تأتي بقيمة لا تناسب فطرته، وتعقد صفو حياته. كما تمتاز بمنطقيتها التي تراعي فكر الإنسان وعقليته فلا تأتي بقيمة تناقض تلك الأفكار والمعتقدات، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}(ق: ١٦)، فخالق السماوات والأرض ومن عليها هو أعلم بخواطر الإنسان، وبواعثه النفسية، وقدراته واستطاعاته، وهو الذي مع الإنسان أينما كان وكيفما يكون، قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(الحديد: ٤). فلا يأمر سبحانه وتعالى الإنسان إلا بما يناسب قدراته ووفق استطاعاته، ويجلب له خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}(النساء: ٢٧ – ٢٨)، يقول الزمخشري: " يريد اللَّه أن يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم[1]"، فلا يكلفهم إلا بما تقتضيه قدراتهم. ولا يقتصر القرآن الكريم على مراعاة قدرات الإنسان فحسب بل يتعداه إلى السهولة في تطبيق المأمور به من القيم الأخلاقية، وسهولة الابتعاد عن ما يناقضها، قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}(الطلاق: ٧). يقول وهبة الزحيلي: "تمتاز قيم الإنسان في القرآن الكريم بمنطقيتها وواقعيتها لأنها من أجل بناء الإنسان وهي للإنسان نفسه[2]". هذا، ويستنبط محمد عبدالله دراز شروطاً معينة للقرآن الكريم عند الأمر والإلزام بقيمة من القيم وهي: إمكانية التصرف، واليسر العملي، وتحديد الواجبات وتدرجها[3]. وفي الحقيقة القرآن الكريم لا يأتي إلا بما يناسب الإنسان ويجلب له الخير عاجلاً أم آجلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم بعباده وما يتناسب مع سجيتهم فيحدد الحقوق والواجبات وفق إمكانية الإنسان ويسره العملي.

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج**11**، ص**357**.
(1) الزمخشري، **الكشاف**، ج**1**، ص**501**.
(2) الزحيلي، وهبة، **القيم الإنسانية في القرآن الكريم**، ص**31**.
(3) دراز، **دستور الأخلاق**، ص**39-59**، بتصرف يسير.

الخصيصة الثامنة عشرة: إبراز فلسفة القيم والتعليل لها.

وذلك عندما يأمر الله سبحانه وتعالى بقيمة معينة، يذكر سبب الأمر بتلك القيمة أو آثارها سواء كان ذكرها بنفس الآية التي جاء بها الأمر أو بآية أخرى، فمثلاً عندما أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بقيمة العدل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}(النحل: ٩٠) جاءت فلسفة تلك القيمة بأن العدل أقرب لتقوى الله جل في علاه في آية أخرى، قال تعالى: {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المائدة: ٨). وعندما أمر سبحانه وتعالى بالإحسان بين أنه تعالى يحب المحسنين: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(البقرة: ١٩٥)، ولا يضيع أجرهم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}(التوبة: ١٢٠)، ولما كان الإحسان هو الجمال النفسي للإنسان جاء التأكيد في آية أخرى أن الإحسان إنما يكون جزاءه إحسان في قوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} (الرحمن: ٦٠). وعندما أمر سبحانه وتعالى بالصبر، قال تعالى: {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(ص:17)، جاء في آية أخرى أن الصبر من عزائم الأمور، قال تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(الشورى: ٤٣)، ومن خلال ذلك يتضح أن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم تبرهن نفسها، وتثبت قيمتها، وتبين أهميتها، ومدى الحاجة إليها، ليدرك الإنسان مدى أهميتها بالنسبة له، فيعمل بها وفق ما تقتضيه المنهجية القرآنية، ولتظهر لديه الملكة الحسية من خلال التأمل العقلي في الآيات الكريمة التي تلفت الأنظار اتجاه مظاهر الجمال للقيم الأخلاقية الحسنة؛ مما يترك في النفس الإحساس بالبهجة والسرور تجاه تلك القيم، وهذا يؤدي بالإنسان إلى السلوك الحسن والامتثال بتلك القيم.

هذا، ويضع القرآن الكريم كل قيمة في محلها ويأمر المسلمين بالعمل بها في الوقت المناسب مع الشخص المناسب، ففي قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(الفتح: ٢٩)، توضح الآية الكريمة طبيعة المسلمين وما ينبغي عليهم من رحمة ومودة تربطها الإخوة الإسلامية، وتبين كيف كانت علاقة المسلمين مع بعضهم البعض المتمثلة بالرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين بأنها قائمة على الرحمة والمودة والتعاون، والشدة والغلظة على الكفار من غير ظلم ولا عدوان؛ حيث قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة: ١٩٠).

الخصيصة التاسعة عشرة: الوسطية والاعتدال.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}(البقرة: ١٤٣)؛ مما لا شك فيه أن ديننا الإسلامي دين التوسط والاعتدال فلا فيه من إفراط ولا فيه من تفريط؛ حيث "جاء الإسلام وسطاً في الأخلاق بين الأفراط والتفريط، والتقريب بين المثل الأعلى والواقع، وانسجام بين العقل والغريزة التي هي قوة مع رحمة، وحكم مع عدل، وتواضع مع عزّة، ومساواة مع تسامح، وتشاور مع عزم، ولين مع حزم[1]"، فالقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التوسط والاعتدال في جميع الأمور ويذم التقصير والغلو ومجاوزة الحد[2]، ومن تأمل في القيم الأخلاقية القرآنية يرى أنها سارت على نفس هذا النهج والمنوال؛ حيث أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم المسلمين أن يكونوا معتدلين في حياتهم الدينية والأخلاقية، وجميع شؤون حياتهم؛ فمثلاً مسألة إنفاق الأموال التي تعتبر من أهم المسائل التي تهدد الجانب الاقتصادي؛ جاء الأمر في القرآن الكريم أن ينفق الناس أموالهم في سبيل الله عز وجل على أكمل وجه ودون أدنى تقصير، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(التوبة: ٣٤)، وفي المقابل نهاهم سبحانه وتعالى عن التبذير وعن الإسراف الذي ليس في محله، قال تعالى: { وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (الإسراء: ٢٦ – ٢٧)، وقال تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(الأنعام: ١٤١)؛ مشيراً بذلك إلى التوسط في الإنفاق، والتوازن والاتساق، لصيانة الأرزاق، وقال تعالى في التأكيد على الاعتدال في الإنفاق: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}(الفرقان: ٦٧)، كما قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}(الإسراء: ٢٩)، أي: "الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط وذلك هو الجود

(1) آل غازي، عبدالقادر بن ملا، **بيان المعاني**، ج**6**، ص**492**.
(2) السعدي، **القواعد الحسان**، ص**72**، بتصرف يسير.

الممدوح فخير الأمور أوساطها[1]". ومما لا شك فيه أن "لتفسير القرآن وفهمه والتفقه فيه أثراً قوياً لا ينكر في تحقيق صفة اعتدال الشخصية واتزانها[2]".

الخصيصة العشرون: لفت الأنظار من خلال أسلوب الحوار.

اعتنى القرآن الكريم بأسلوب الحوار وجاءت بعض الحوارات تحمل قيماً أخلاقية بشكل صريح وشكل غير صريح، وتحدد ضوابط الحوار وتسن معاييره التي تبنى على الأخلاق، وتؤكد على صدق الأنبياء عليهم السلام من خلال الحجج والبراهين التي تقنع العقول، والتي تدعوا الإنسان إلى الحوار في شتى مجالات الحياة لينعم الأفراد بعد ذلك بمجتمع هادئ يسوده الأمن والأمان، يقول مقداد يالجن: لا تخلو أية مناقشة أو محاورة أو مناظرة من القيم الأخلاقية وذلك من حيث النية، ومن حيث استهداف المقاصد، وكذلك من حيث الأداء[3]؛ فالحوار أمر ضروري يحتاج إليه الإنسان لإقناع الذات وحل المشكلات وذلك بمراعاة آدابه الأخلاقية. وتتنوع مجالات الحوار في القرآن الكريم فتارة يكون حواراً بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته، وتارة حواراً بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم، وتارة أخرى بين بني البشر مسلمين كانوا أو كافرين. قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ}(المائدة: ٧٧) وهنا جاء الحوار لأهل الكتاب بأن لا يغلوا في دينهم غير الحق. كما تتنوع أساليب الحوار في القرآن الكريم لتشمل الأسلوب الوصفي نحو خطاب الله سبحانه وتعالى للملائكة عليهم السلام في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}(البقرة: ٣٠)، نشاهد في هذه الآية الكريمة عرضاً وصفياً واقعياً دار بين الخالق عز وجل وملائكته عليهم السلام. ومن خلال الأسلوب البرهاني الذي يقوم على العلم والبرهان، نحو قوله تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}(الأعراف: ١٢٨) فهنا جاءت دعوة موسى عليه السلام لقومه أن يستعينوا بخالقهم ويصبروا داعماً قوله بالمواقف الصحيحة والبراهين المقنعة بأن الأرض للخالق سبحانه وتعالى يورثها من يشاء من عباده.

الخصيصة الحادية والعشرون: التكرار تأكيداً على بعض القيم الأخلاقية.

جاء أسلوب التكرار في القرآن الكريم يؤكد على بعض القيم الأخلاقية تارة، ويعظم شأنها تارة، ويحذر من عدم امتثالها تارة أخرى. وجاء التكرار بشكل صريح ومباشر لقيم معينة، وجاء بشكل يدعوا إلى ما يقارب لتلك القيم. كما جاء التكرار في بعض المواضع في اللفظ والمعنى موصولاً ومفصولاً، والموصول نحو قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}(الشرح: ٥ – ٦)؛ فتكررت هذه الآية بعد الآية التي قبلها مباشرة. وأما المفصول فقد جاء في صورتيه، الصورة الأولى: التكرار في القرآن كله نحو قوله تعالى: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}(المرسلات: ٤٧)، فتكررت هذه الآية الكريمة والتي تحذر من الكذب الذي يضاد الصدق في أكثر من سورة. والصورة الثانية: التكرار في نفس السورة نحو قوله تعالى في سورة الشعراء: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}(الشعراء: ٩)؛ حيث تكررت هذه الآية في نفس السورة ثماني مرات، يقول السيوطي: " كررت ثماني مرات كل مرة عقب كل قصة فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر[1]"، وهي تؤكد أن العزة والرحمة من صفات الخالق سبحانه وتعالى الذي وسعت رحمته كل شيء. كما قد يأتي في القرآن الكريم تكرار الأمر بالتزام قيمة معينة أو بيان أهميتها وفضلها، والنهي عن ضدها أو بيان أضرارها وفي ذلك لا شك عظيم الفائدة للمسلمين حيث تكون الاستفادة أكثر والتطبيق أظهر.

الخصيصة الثانية والعشرون: الدعوة إلى القيم الأخلاقية من خلال الاستفهام.

يعتبر الاستفهام من أساليب القرآن الكريم التي استخدمت للدعوة إلى بعض القيم الأخلاقية والتنفير عن ضدها، وأساليب الاستفهام في القرآن الكريم تتنوع، فمنها ما يفيد الإنكار والنفي نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

(1) الألوسي، **روح المعاني**، ج**8**، ص**63**.
(2) الجزائري، أحمد بن أحمد، **أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم**، ص**91**.
(3) يالجن، مقداد، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية**، ص**17**، بتصرف يسير.
(1) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج**3**، ص**227**.

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}(الحجرات: ١٢)؛ حيث تستنكر هذه الآية الكريمة الذين يظنون بغيرهم من الناس ظن السوء، ويتجسسون على أحوال غيرهم، ويغتابونهم مبطلة ومستنكرة أشد الاستنكار هذا الفعل الذميم من خلال التشبيه البليغ لذلك الفعل، "ومن الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرة ويزيد عليه في الأذى والمضرة، وهي الغيبة والنميمة والسعاية[1]". ومنها ما يفيد التوبيخ نحو قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}(البقرة: ٤٤)؛ حيث تلقي هذه الآية الكريمة اللوم على عاتق الذين يأمرون الناس بالبر وفعل الخير وهم خلاف ذلك، فيكون الاستفهام هنا بمعنى الاستنكار والتعجب والتوبيخ. ومنها ما يفيد التقرير والإثبات نحو قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(التوبة: ١٠٤). وقال تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(النور: 22)، تبين الآية الكريمة الاستفهام الإنكاري المبني على تعزيز قيمة العفو والصفح بربط ذلك برغبة الدخول في مغفرة الله سبحانه وتعالى.

الخصيصة الثالثة والعشرون: العناية بالمهارات الأخلاقية الجماعية.

تضافرت الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو الإنسان إلى روح الجماعة ونشر القيم الأخلاقية فيما بينها من خلال العديد من المهارات الجماعية، فالمتأمل في الكتاب الكريم يرى العناية الفائقة في هذا الشأن؛ حيث تأتي معظم الخطابات التي تأمر بالتزام قيمة معينة أو بيان أهميتها وفضلها على الفرد والمجتمع بصيغة الجمع، وإن كانت تأتي خطابات بصيغة المفرد، ولكن طابع الجمع هو الغالب، فمثلاً في سورة الفاتحة يأتي الدعاء بصيغة الجمع ليشمل دعاء الإنسان لنفسه ولأخيه المسلم، قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}(الفاتحة: ٥–6)، يقول السيوطي: "قوله تعالى: {وإياك نستعين}:شامل لعلم الأخلاق[2]". والأخلاق "التي تنميها العبادات في النفس ليس المقصود منها أن تكون أخلاقًا أنانية ذاتية للشخص نفسه فحسب، ولكن المقصود منها هو أن تكون أخلاقًا[1]" لتشمل أخلاق الفرد نفسه مروراً بأخلاق الفرد مع غيره. كما قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الحجرات: ١٠)؛ فالقرآن الكريم يحث المسلمين على التعاون والوحدة لا الأنانية والفرقة التي باتت تهدد الحضارة الإنسانية، وتأذن للمجتمعات بالزوال. ويدعو القرآن الكريم إلى التكافل والتكاتف بين المسلمين في جميع مجالات الحياة المختلفة، حيث "أخذ الإسلام يبني المجتمع بناءً واحداً متماسك الأطراف، وكان أول ما اتخذه من ذلك ايجاباً الحثُّ على التعاون والتراحم[2]"، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة: ٢). يقول سيد قطب: "من مقتضيات الإيمان أن ينهض كل فرد في الجماعة بحق الجماعة عليه. فهو مأمور أن يتكافل مع الجماعة في ماله وجهده ونصحه، وفي إحقاق الحق في مجتمعه وإزهاق الباطل[3]"؛ فالإنسان لا يمكن العيش بمفرده بل لابد من انخراطه مع غيره، وبتعاونه مع أفراد مجتمعه وتكافله معهم على الخير وإقامة الحق تنهض المجتمعات وتتحقق الغايات، "ولذا كان من أبرز مظاهر الوعي في الأفراد: شعورهم بحق الجماعة عليهم، وتصرفهم في حدود التعاون الاجتماعي، فالدين الحق هو الذي ينمي روح الشعور بحق الجماعة، والأمة الراقية هي التي تغلب الروح الجماعية كل نزعة فردية وانعزالية في أبنائها[4]".

الخصيصة الرابعة والعشرون: إبراز العلاقة الوثيقة بين الأخلاق وحقوق الإنسان.

ربط المنهاج القرآني أخلاق الإنسان بالحقوق والواجبات، وضمن لكل إنسان ما له وما عليه من حقوق، ووضع حدوداً وضوابط لا يعتدي عليها أحد، فكل إنسان له حرية الاختيار وحرية التعبير دون إجحاف حق أحد. وجعل المنهاج القرآني محور ضبط تلك الحقوق والواجبات الأخلاق فمتى صلح ذلك المحور الرئيس صلح حال الإنسان وسلوكه مع الآخرين، فالأخلاق هي التي تحرك

(1) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ج**1**، ص**266**.
(2) السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ص**58**.
(1) صبح، علي علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية**، ص**267**.
(2) القطان، إبراهيم، **تيسير التفسير**، ج**1**، ص**166**.
(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج**1**، ص**345**.
(4) السباعي، مصطفى، **أخلاقنا الاجتماعية**، ص**63**.

الإنسان نحو احترام حقوق غيره من الأشخاص؛ وذلك لا شك يؤثر سلباً أو إيجاباً في ارتقاء المجتمع وتقدمه أو انحلاله وتعثره، ويتعدى ذلك الأثر من حقوق الإنسان إلى حقوق الدول، وما جاء من أوامر أخلاقية واجبة على الإنسان تعتبر أداة تحقيق لتلك الحقوق المشروعة، ونظام حقوقي مناسب ينظم حركة سير الإنسان في تعامله مع غيره، ويجعله أكثر التزاماً للقوانين المسنونة.

الخاتمة:

قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}(الإسراء: ٩)، وقال – صلى الله عليه وسلم–: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً[1]".

القرآن الكريم المنهاج الرباني لبناء أخلاق الإنسان، وما أسمى خُلق من تخلق بخُلقه، وتمسك بتعاليمه، وتهذب بقيمه. والتمسك بالقيم الأخلاقية القرآنية من أهم عوامل تقدم الإنسان ورفع كفاءته، وهي التي تضمن للمجتمع الإنتاج والازدهار، والأمن والأمان. وللمنهاج القرآني خصائصه التي تفرد بها في بناء أخلاق الإنسان، من حيث الوسطية والاعتدال، والشمولية والكمال، والمنطقية والاستدلال، والتنوع والجمال، وغيرها من الخصائص والأساليب التي تفرد بها.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/ 1987م).
2. الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** (د.م: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م).
3. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
4. الأهدل، أحمد بن يوسف بن محمد، **الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية** (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط3، 1431هـ/ 2010م).
5. الجزائري، أحمد بن أحمد، **أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم**، بحث محكم (القاهرة: دار الحرمين، ط1، 1423هـ/ 2003م).
6. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).
7. ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبدالله الخالدي (بيروت: شركة دار الأرقم، ط1، 1416هـ).
8. الخراز، خالد بن جمعة عثمان، **موسوعة الأخلاق** (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ط1، 1430هـ/ 2009م).
9. الخزندار، أبو أسامة محمود محمد، **هذه أخلاقنا عندما نكون مؤمنين حقاً** (الرياض: دار طيبة، ط2، 1417هـ/ 1997م).
10. الخطيب، عبدالكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).
11. دراز، محمد عبدالله، **دستور الأخلاق في القرآن** (د.م: مؤسسة الرسالة، ط10، 1418هـ/ 1998م).
12. دراز، محمد عبدالله، **نظرات في الإسلام** (القاهرة: مؤسسة أقرأ، د.ط، 2014م).

(1) **متفق عليه**، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، ج8، ص13، رقم (6035). ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه – صلى الله عليه وسلم-، ج4، ص1810، رقم (16).

13. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
14. رشيد رضا وآخرون، **مجلة المنار** (د.م: د.ن، د.ط، د.ت).
15. الزحيلي، وهبة مصطفى، **القيم الإنسانية في القرآن الكريم** (سوريا: دار المكتبي، ط2، 1429هـ/ 2008م).
16. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).
17. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير** (د.م: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).
18. السباعي، **مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية** (الرياض: دار الوراق، ط1، 1420هـ/ 1999م).
19. السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، **القواعد الحسان لتفسير القرآن** (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1420هـ/ 1999م).
20. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
21. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس (الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ- 1997م).
22. سيد قطب، إبراهيم حسين، **في ظلال القرآن** (بيروت: دار الشروق، ط17، 1412هـ).
23. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن** (د.م: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
24. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ/ 1974م).
25. بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، **القرآن وقضايا الإنسان** (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1982م).
26. صبح، علي علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية** (د.م: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت).
27. الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (القاهرة: دار نهضة مصر، ط1، 1998م).
28. عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام** (السعودية: الدار السعودية، د.ط، د.ت).
29. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).
30. علي، سعيد إسماعيل، **القرآن الكريم رؤية تربوية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1421هـ/ 2000م).
31. آل غازي، عبدالقادر بن ملا حويش، **بيان المعاني** (دمشق: مطبعة الترقي، ط1، 1382هـ/ 1965م).
32. الغزالي، محمد، **خُلُق المسلم** (الجيزة: دار نهضة مصر، ط24، 2016م).
33. القطان، إبراهيم، **تيسير التفسير** (د.م: د.ن، د.ط، د.ت).
34. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (د.م: دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م).
35. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين** (د.م: دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م).
36. المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ/ 1946م).
37. مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، د.ت).

38. النحلاوي، عبدالرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع** (د.م: دار الفكر، ط25، 1428هـ/ 2007م).
39. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بدوي (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ/ 1998م).
40. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عمريات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).
41. يالجن، مقداد، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية** (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 1425هـ/ 2004م).
42. يالجن، مقداد، **دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية** (الرياض: دار عالم الكتب، ط2، 1423هـ/ 2002م).